

# «بوكر» لـ «الطلياني» شكري المبخوت

مريد البرغوثي «الطلياني» (دار التنوير) للتونسي شكري المبخوت الفائزة بـ «الجائزة العالمية للرواية العربية - البوكر» 2015. خلال الاحتفال الذي أقيم الأربعاء في أبوظبي بحضور لجنة التحكيم والروائيين الستة

«رواية أولى مدهشة. رحلة في عوالم الجسد والبلد، الرغبة والمؤسسة، والانتهاك والانتهازية، وتناول بارع لارتباك العالم الصغير للأفراد والعالم الكبير للبلاد» هكذا وصف رئيس لجنة تحكيم «بوكر» الشاعر الفلسطيني

## رواية عن تونس وتحولاتها



إلى تفاصيل الحياة الطلابية في الثمانينيات وعلاقته بـ «زينة» طالبة الفلسفة الآتية من أرياف مدينة القيروان الفقيرة. نكتشف أيضاً التحرش الجنسي والإبتزاز العاطفي والجنسي الذي يمارسه عدد من كبار أساتذة الجامعة على الطالبات الجميلات وتتعرف إلى آليات السيطرة على الإعلام وتوجيهه في عهد بن علي من خلال شخصية «عبد الحميد» رئيس تحرير صحيفة «الحكومة». يطرح شكري المبخوت في هذه الرواية قضية الجسد. الطلياني الذي اكتشف جسده مبكراً مع «للة جنية» التي تكبره بسنوات يحمل جرحاً عميقاً في ذاكرته ووجدانه عندما اغتصبه «علالة» في المسجد. يعتقد الناصر الطلياني أنه نسي ذلك الجرح العميق، لكنه يستيقظ فجأة في لقائه مع «ريم». بعد تخطيط طويل، يكشف فجأة عجزه الجنسي عندما تطلب منه «ريم» أن يأتيها من الخلف لأنها عذراء، فينهار نفسياً بسبب الذكرى الموحجة التي أحبتها في قلبه. الجنس والسلطة والمسار الثلاثة محاور أساسية لرواية «الطلياني» صاغها شكري مبخوت في بناء روايته كلاسيكي لم يخل منه معمار مدينة تونس العتيقة والكولونيالية والأحياء الراقية الجديدة التي ظهرت في الثمانينيات.

نورالدين...

قبل تتويجها بـ «بوكر» العربية، حازت رواية «الطلياني» لشكري المبخوت (1962) جائزة «الكومار» لسنة 2015، وهي جائزة وتونسية تمنحها مؤسسة مالية للأعمال الأدبية. الرواية الصادرة في 342 صفحة عن «دار التنوير». خلال الصيف الماضي، نالت أيضاً جائزة الإبداع الأدبي في «معرض تونس الدولي للكتاب». إنها الباكورة الروائية لشكري مبخوت الأكاديمي البارز ورئيس «جامعة منوبة» والعميد السابق لكلية الآداب والفنون والإنسانيات في منوبة. تمتد الرواية على مدى عشرين عاماً من منتصف الثمانينيات من القرن الماضي إلى منتصف التسعينيات. من خلال شخصية «الناصر» الملقب بالطلياني، يرصد المبخوت في روايته التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية في تونس منذ نهاية نظام الزعيم الحبيب بورقيبة وبداية عهد التغيير كما يعرف في تونس الذي قادته بن علي. وقد استبشر التونسيون آنذاك بـ «العهد الجديد» وعوده بالديمقراطية وحرية الإعلام والتعددية السياسية قبل أن يتوقف كل هذا المسار في منتصف التسعينيات وهي المرحلة التي توقفت فيها الرواية. الطلياني طالب يساري ينحدر من عائلة أندلسية متوسطة تسكن المدينة العتيقة، وهو الخيط الرابط لكل الأحداث من خلاله، نتعرف

## 3

### أسئلة إلى شكري المبخوت

#### نور الدين بالطيب

#### 1

■ شكل صدور رواية «الطلياني» لشكري المبخوت رئيس «جامعة منوبة» مفاجأة في الوسط الأدبي التونسي، كيف تنظر إلى فوزها بـ «بوكر» 2015؟

بابتهاج طبعاً، خصوصاً بعدما سمعت رأي لجنة التحكيم وما علّلت به اختيارها. هذا التعليل عندي أهم من اختيار «الطلياني» بحد ذاته. فمن المبهج أن تجد قراء يقظين يعرفون الرواية وأسرارها، فيقدرون جهدك واجتهادك حق قدرهما في لغة واضحة لا مجالمة فيها. وعلاوة على ذلك، اعتبرت هذا الاختيار بحد ذاته، اعترافاً أدبياً مهماً وأنا أطرق بـ «الطلياني» أول مرة باب الرواية باعتبارها أكثر الأجناس الأدبية خطورة في علاقتها بالمعنى والحقيقة والحرية.

#### 2

■ عرفت كباحث أكاديمي، وظهورك الروائي كان مفاجئاً. منذ متى بدأت الكتابة الروائية؟ وما هو موقعها في اهتماماتك العلمية؟

أنا أيضاً فاجتاني، إلى حد ما، عرائس الكتابة الروائية حين أخذتني من شواغلي العلمية والإدارية. انتقلت إلى عالم التخييل الروائي طائناً راضياً. فقد رأى بعض أصدقائي من منذوقي الكتابة وفنون القول مخايل هذه العرائس في بعض ما كتبت من أعمدة صحافية. لذلك لم أر في هذا «الانتقال» إلى الرواية، إن صحّت العبارة، انقطاعاً عن اهتماماتي الأخرى وضروب القول التي خبرتها في البحث العلمي أو الكتابة الصحافية أو الخريشات الشعرية أو المقالات الثقافية. الرواية على غير ما قد يُتوهم ليست مجرد لعبة فنّية بل هي أخطر من ذلك. إنها رهان على اختبار الفنّ وقدرته على قول الحقيقة. فأنا مثالي في الرواية أو من بأنها إصغاء إلى نشيد حرية الكائن الخافت أو الهادر. إصغاء تقدّم من خلاله معرفة لا يمكن لأصناف القول العلمي أن تقولها. إنها أعلق بدواخل الإنسانية المرعبة الفاتنة وتردّدات الإنسان وتهويماته وبحته عن معنى وجوده بما فيه من مسارات متعرجة وفخاخ انكسارات وخيبات منصوبة هنا وهناك. زمننا الفردي والجماعي ماتت فيه معاني البطولة المبهجة، فأضحى المرء يجد نفسه عارياً أمام مصيره وأوجاعه وأحزانه الدفينة.

#### 3

■ كيف ترى حال الرواية التونسية اليوم في المشهد العربي؟ إن وصول الروائي الحبيب السالمي إلى القائمة القصيرة لـ «بوكر» مرتين، وحسن الواد في الدورة السابقة، يدل على أنّ الفن السردّي في تونس لا يخلو من أهميّة واجتهاد ووعي بمقتضيات الرواية اليوم. شخصياً، أعتقد أنّ هناك أسماء جديرة بأن تدرج في متن الرواية العربية الجيدة. لكنّ الإشكال في تونس عكس مصر أو لبنان أو سوريا أو المغرب منذ عقدين أو ثلاثة، والسعودية منذ فترة ليست بالبعيدة، هو غياب المؤسسة الأدبية المكتملة من حيث مكوناتها من نشر بمعايير واضحة وتوزيع واسع ومتابعة إعلامية واهتمام نقدي أكاديمي وجدل أدبي وجمالي وشبكات للكتاب والروائيين وجوائز أدبية... ما يوجد واقعياً هو محاولات متميزة من دون مؤسسات تحتضنها. الرواية العربية تحقق منذ مدة قفزات جمالية وفنّية مهمة، ولن نحذل الموقع الذي نحن جديرون به إلا بالتراكم الكفّي وفتح الباب لأصوات عديدة، منها ما هو راسخ القدم في الرواية ومنها ما هو واعد. وهذا بعض ما ينبغي أن يتغيّر في تونس حتى يقول التونسيون سردية مجتمعهم وحكاية الإنسان التونسي.

## «فائزو» الترضية

## عشق، حمور زيادة

### أحمد مجدي همام

كل الحيل السردية في نص واحد. هذا باختصار ما نجح الروائي السوداني حمور زيادة (1977) في تحقيقه عبر روايته «شوق الدرويش» (دار العين، القاهرة) التي نافست في القائمة القصيرة لـ «بوكر». رسم زيادة. باقتدار المخضرمين. لوحة ثرية بكل الألوان. ثمة قصة حب تجمع بين بخيت منديل وثيودورا. ليس أي حب، بل هو حب خرافي يليق بأبطال الأساطير. تراجيدياً إنسانية تفيض شجناً ولوعة. ثمة في الخلفية تاريخ يُلتقط من زاوية عكسية. زاوية تُقارب للمرة الأولى الثورة المهديّة من الداخل، والخارج، ومختلف الأبعاد، وتستجوب الحركة المهديّة (1843 م). ليس ذلك فحسب. إلى جوار القصة الإنسانية ومنحنياتها الدرامية المنسوجة بعناية، تطرح الرواية، بشكل فني، مجموعة ثنائيات وجدليات عن الإيمان والكفر والشك واليقين والحب والكراهية. وربما تكون نقطة التميز الكبرى في الرواية قدرة الكاتب على تحويل تلك التساؤلات الوجودية إلى دراما في النص. حكايات وشخصيات وعلاقات وتواريخ ووقائع مغزولة بالحكايات، بحيث لا تبدو ناتئة في السرد.

بالتوازي مع هذا الزخم في الدراما والموضوع، كان زخم التقنيات والأدوات، الاسترجاع والاستيقاظ والنص والميتاإيتورا (الكتابة عن الكتابة) والتقطيع وغيرها من التقنيات السردية، التي وظفت في النص ببراعة، لا للزخرفة واستعراض العضلات، بل لأنّ الضرورة الفنية اقتضتها، ولأنّ المنتج النهائي ما كان ليصل إلى تلك الدرجة من الفنية والنضج، وما كان له أن يفيض بكل ذلك الشجن لولا توظيف تلك التقنيات في مواضعها تماماً. بخلاف اللغة، والوسيلة والغاية، فلغة حمور زيادة ترقى إلى مصاف الشعر. ليست شعرية مجانية، بل وفقاً لحاجة النص ومسارته، لأنّ زيادة في مواضع أخرى يحتفي باللغة التراثية، أو يجنح للتقريبية، يسيل أو يجف وفقاً لحاجة النص وظهوراته. الحرفية الناضجة التي غزلت بها مغامرات بخيت منديل وحبسه ظلماً وحبه لثيودورا، وشخصية الحسن الجريفاوي وصعود الثورة وهبوطها، والفكرة الثرية الموغلة في المحلية والمنفتحة على اتساع الإنسانية، توهُّل «شوق الدرويش» للذهاب بعيداً.

\* حمور زيادة - «شوق الدرويش» (دار العين، القاهرة)

## خرائط لينا هويان الحسن

### خليف صويلح

كما لو أننا حيال اليوم بالأبيض والأسود. صور وذكريات ووقائع تُورخ حياة حافلة بالتحولات، من دمشق، مروراً ببيروت وباريس، إلى سان باولو وبوينس ايرس. «سلام الشوق» مجدداً بقراءة متشظية، وتاريخ مثقل بالدون، وحكايات العشق العاصفة. هكذا تحشد السورية لينا هويان الحسن (1977) في «الماس ونساء» (دار الآداب) جسيم نصف قرن، مثقل بمخزون كحائي تتناهبه تضاريس الأمكنة والأقار الغامضة. تتكشف خريطة دمشق عن حيوات إثنية متجاوزة في نسيج عاطفي محمول على نوستالوجيا بانخة تستعيد تاريخ مدينة لطالما كانت مشتتة للجمال والأسرار والعتق الإلهي. غزارة الوثائق التي لجأت إليها الحسن في إعادة تدوين تاريخ بشر معلقين بين خريقتين، أثقلت السرد الموازي بحكايات متشعبة، يصعب تركيبها بسهولة، كأن الرواية أبت أن تتخلى عمّا غنمته من وثائق نادرة عن المهاجرين السوريين الأوائل إلى أميركا اللاتينية، والتواريخ المجهولة، ما أصاب الرواية في بعض مفصلاتها بعبط ما، في سيرورة الأحداث، خصوصاً أنها اعتمدت تقنية مكززة في تشبيك الوثيقة بالتخييل السردية. تشغف الحسن في استدعاء الأنوثة من الداخل حين تكسي نساء روايتها بكل ما يعزّن الجمال الخارجي، فتستدعي ماركات الأزياء والعمود والمجوهرات في نوع من الافتتان بكل ما يشحن الحواس، كأنها بذلك تعوّض الأثني عمّا ينقصها في حياتها كمحصلة لظلم تاريخي يحيق بها، وخيبات وقمع وخذلان واغتراب. الإغراق في رفد حيوات الشخصيات بما يوازها من تواريخ الحياة العامة لجهة التطور الصناعي الذي شهده العالم، ظل بمنأى عن دينامية الشخصيات في مواجهة أقدارها، خصوصاً أنّ الرواية ظلّت تتحكم بمسار السرد، من دون منح شخصياتها حرية التنفس خارج إطار الوصف الرسوم سلفاً في ذهنها، ما شكّل إعاقه في نمو بذرة التمرد على هواها. ذلك أن هاجس تشبيك العلاقات الأثنية بين الأقسام المختلفة لجهة قصص الحب، طغى على ما عدها رغم سعيها إلى تأكيد خيوط الصراع بما هو أبعد من ذلك، في ما يخض الشروخ التي أفرزتها الحرب لتنتهي الحكايات إلى حطام، وأحلام مهضمة، وفراق وخداع، وتوق إلى فضاءات أرحب، عبر تسلسل زمني يبدأ بشخصية «المناظ»، ليتفرّع إلى عشرات الشخصيات التي تناهتها المدن والمغامرات المثيرة، والنهايات الفاجعة.

\* لينا هويان الحسن - «الماس ونساء» (دار الآداب)